صلاح الأعمال ودوامها عربون الإخلاص فيها وموافقتها للسّنّة

(خطبة الجمعة للشيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 20 شوال 1433هـ الموافق لـ 7 سبتمبر 2012م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** {01} " سورة النّساء.

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** {102} " سورة آل عمران.

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا {70} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** {71} "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام ، في هذه الجمعة المباركة ، نتناول موضوع :

قبول الأعمال ودوامها مرهون بالإخلاص فيها وموافقتها للسّنّة

معاشر الإخوة الكرام ،

إنّ الإخلاص بالنّسبة للأعمال كالأساس بالنّسبة إلى البنيان، وهل يبنى بنيان بدون أساس، وهل يستمرّ البنيان إذا كان الأساس غير متين ، كذلك الأعمال لا تدوم ولا تستمرّ ولا تُثمِر إذا غاب الإخلاص فيها.

وهل البنيان يسمّى بنيانًا إذا غاب السّقف ؟

كلاّ وألف كلاّ ، كذلك إذا كان العمل مخالفا لسنّة النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، فلابد من اجتماع الأساس والسّقف والجدران ، قال تعالى : " **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ {2}** " **سورة الملك.**

قال الفضيل بن عياض : (**العمل الحسن أخلصه وأصوبه ، أخلصه ما ابتُغي به وجه الله دون سواه، وأصوبه ما وافق سنّة النّبي صلّى الله عليه وسلّم**) ،

قال السّلف : (**صلاح الأعمال بصلاح القلوب، وصلاح القلوب بصلاح النّيات، ومن صَفَّى صُفِّي له، ومن خلّط خُلِّط له**).

كلّ عملٍ يُقدِم عليه المسلم إلاّ وله فيه نيّة لله تعالى ،

قال تعالى : " **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162}** " **سورة الأنعام.**

فالمسلم حياته كلّها لله تعالى ، إذا تاجر له نيّة في تجارته أن يعفّ نفسه وأهله عن المال الحرام، إذا تزوّج فله نيّة إنشاء الذّرّيّة الصّالحة العابدة لله ، كل خطوةٍ يخطوها إلاّ وله فيها نيّة لله تعالى، وهذا يقتضي ألاّ يكون فيما يقدم عليه مخالفةً لشرع الله تعالى، وإلاّ كيف يكون له فيه نيّة لله تعالى ؟.

ولقد بيّن السّلف حقيقة الإخلاص وأحوال أصحابه قَوْلاً وفِعلاً ،

- فقال أبو حازم المديني : (**أُكتم حسناتك كما تكتم سيّئاتك**).

- وهذا مالك يقول : (**جلست إلى ابن هرمز ثلاث عشرة سنة، واستحلفني أن لا أذكر اسمه في الحديث**) .

ومن شدّة حرصهم على أن تكون لهم نيّةٌ في كل عملٍ، وإلاّ توقّفوا عن فعله .

فهذا شُعَيْب بن حرب قال : (**كنت مع زهير بن معاوية بالبصرة، فقال: يا شعيب، أنا لا أكتب حديثًا إلاّ بِنِيَّةٍ، فأقمنا بالبصرة فما كتبنا إلاّ حديثًا واحدًا**).

بل وكانوا يخشون الرّياء ويتحرّون مجالس صفاء النّيات، ويقدحون في المجالس الّتي قد يحضرها الرّياء. فعن عبد الرّحمان بن مهدي قال : (**كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثُر النّاس فرحت، وإذا قَلُّوا حزنت، فسألت بشر بن منصور فقال: هذا مجلس سوءٍ فلا تعُد إليه، فما عدت إليه**).

ولذلك فإنّ ابن المبارك يقول : (**رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُكَثِّرُه النّيّة، ورُبَّ عملٍ كثيرٍ تُصَغِّرُهُ النّيّة**).

ومن الحماقة بمكان والسّذاجة، أنّ الّرجل يقدم على عملٍ كبيرٍ، ثمّ يبطله لغياب النّيّة أو عدم صفائها ، قال تعالى : " **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا {23}** " **سورة الفرقان**.

قال البغوي : أي باطلاً لا ثواب لهم، وهم لم يعملوه لله عز وجلّ.

جعلناه هباءًا منثورا : قال ابن عباس : هو ما تسقيه الرّياح وتذريه من التّراب وحطام الأشجار.

أ- وليس الأمر مقتصرًا على عدم قبول الأعمال، بل إنّ الأدهى والأمرّ أنّ غياب الإخلاص في الأعمال يوجب العقاب من الرّحمان.

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : " إنّ أوّل النّاس يقضي فيه يوم القيامة ثلاثة :

- رجل استشهد فأتى به، فعرّفه نعمه فعرفها، فقال : (ما عملت فيها ؟)، قال : (قاتلت فيك حتّى قُتلت) ، قال : (كذبت ولكن قاتلت لِيُقال هو جريءٌ فقد قيل)، ثم يأمر به فيسحب على وجهه حتى أُلقي في النّار.

- ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها، فقال : (ما عملت فيها ؟)، قال: (تعلّمت فيك العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن). فقال: (كذبت ولكنّك تعلّمت لِيُقال هو عالمٌ فقد قيل، وقرأت القرآن لُيقال هو قارئٌ فقد قيل). ثمّ أمر به فسحب على وجهه حتّى أُلقي في النّار .

- ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه ، فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها فقال: (ماعملت فيها ؟) ، فقال: (ما تركت من سبيل تحبّ أن ينفق فيها إلاّ أنفقت فيها لك) . قال: (كذبت ولكنّك فعلت لِيُقال : هو

جوادٌ فقد قيل) ، ثمّ أمر به فسحب على وجهه حتّى أُلقي في النّار " الحديث. وهذا الوعيد كافٍ لردع أصحاب النّيات الخبيثة، وفي لفظ : (فهؤلاء أوّل خلق الله تشعر بهم النّار يوم القيامة) .

ب – إنّ من ثمار الإخلاص قبول الأعمال عند الله تعالى، ومن ثمار الإخلاص التّوفيق والسّداد، وجعل الأمر نافعًا وإن بدا في ظاهره غير ذلك.

في حين، إذا غاب الإخلاص غاب معه التّسديد والتّوفيق من عند الله تعالى : " **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ** {58/7} " **سورة الأعراف.**

ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه **أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : قال رجل : (لأتصدّقنّ بصدقةٍ) ، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارقٍ ، فأصبحوا يتحدّثون : (تُصُدِّق على سارقٍ) ، فقال : (اللّهمّ لك الحمد لأتصدّقنّ بصدقةٍ) ، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانيةٍ ، فأصبحوا يتحدّثون : (تُصُدِّق اللّيلة على زانيةٍ) ، فقال : (اللّهمّ لك الحمد على زانيةٍ !، لأتصدّقنّ بصدقةٍ) ، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غنيٍّ ، فأصبحوا يتحدّثون : (تُصُدِّق على غنيٍّ) ، فقال : (اللّهمّ لك الحمد على سارقٍ وعلى زانيةٍ وعلى غنيٍّ !) ، فأُتِيَ فقيل له : (أمّا صدقتك على سارقٍ ، فلعلّه أن يستعفّ عن سرقته ، وأمّا الزّانية ، فلعلّها أن تستعفّ عن زناها ، وأمّا الغنيّ ، فلعلّه يعتبر فينفق ممّا أعطاه الله) .**

والصّدقة المذكورة على الرّاجح وقعت باللّيل ، لقوله في الحديث : (فأصبحوا يتحدّثون) ، بل وقع في صحيح مسلم التّصريح بذلك لقوله فيه : (لأتصدّقنّ اللّيلة) .فدلّ على أنّ الصّدقة كانت سرًّا، إذ لو كانت بالجهر نهارًا لما خفي له حال الغنيّ ، وفي قوله : (لك الحمد) أدب جمّ مع الله تعالى ، لأنّ الصّدقة وقعت بإرادة الله ومشيئته في يد غنيّ ، وأنّ لله في تدبيره حكمة دائمًا ، علِمَها من علِمَها وجَهِلَها من جَهِلَها .

وفيه أن نيّة المتصدّق إذا كانت صالحةً قُبلت صدقةً ولو لم تقع الموقع ، وفيه أنّنا لسنا مكلّفين للشّق على قلوب النّاس، ويُستحبّ إعادة الصّدقة إذا لم تقع في الموقع المناسب.

قال سليمان بن عبد الملك، حينما طاف به طائف المرض، فلمّا تفرّس وجوه بَنيِه، فألفاهم صغارًا، فألبسوهم أقمصة الخلافة، وجيء بهم إليه مزركشين بثياب الخلافة متوشّحين سيوفهم، فقال آسفًا : (إنّ بنيّ صبيةٌ صغارٌ، أفلح من كان له كبارٌ) ، وخلا بمشيره (رجاء بن حيوة) فقال له : (إنّ ممّا يحفظك في قبرك ويشفع لك في أخراك أن تستخلف على المسلمين رجلاً صالحًا) قال سليمان : (ومن عساه يكون ؟) ، قال رجاء : (عمر بن عبد العزيز) .

فقال : (والله لأعقدنّ عقدًا لا يكون للشّيطان فيه نصيبٌ) فجعل الخلافة من بعده لعمر بن عبد العزيز الّذي أصلح فساد جيلين في سنتين.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله ،

معاشر الإخوة الكرام،

هل الإخلاص يكفي لقبول العمل ؟ ، بل لابدّ من شرطٍ ثانٍ، ألا وهو موافقة العمل لسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

الصّوم قربةٌ، لكن لو صُمْتَ يوم العيد لم يُقبل منك ، الطّواف في الحجّ ركنٌ وعبادةٌ، لكن لو طافت حائضًا لم يُقبل منها، كما جاء في الصّحيحين ، **قالت عائشة رضي الله عنها : دخل عَلَيَّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بسَرِف وأنا أبكي ، فقال : (مالك أنفست ؟) ، فقلت : (نعم) ، قال : (هذا أمر كتبه الله على بنات آدم، إقضي ما يقضي الحاجّ غير ألاّ تطوفي بالبيت) .**

وقد أخبرنا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ كلّ عملٍ مخالفٍ لما في الكتاب والسّنّة فهو مردود على صاحبه غير مقبول .

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ) .

الإحداث في الحديث هو الابتداع ، كما فسّره النّبي صلّى الله عليه وسلّم بقوله : (**وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ**) . والبدعة كلّ ما لا أصل له في الكتاب والسّنّة أو الإجماع.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة : (**البدعة ما خالفت الكتاب والسّنّة أو إجماع سلف الأمّة من الإعتقادات والعبادات**) .

ولكي يضمن المسلم إصابة الحقّ والصّواب ، عليه التزام الكتاب والسّنّة .

أخرج الحاكم في المستدرك وصحّح اسناده الألباني في صحيح الجامع وصحّحه السّيوطي ، عن أبي هريرة قال صلّى الله عليه وسلّم : (**تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب الله وسنّتي**).

- لا يدفع الرّشوة الواحد ، ثمّ يقول : (**نيّتي سليمةٌ ، هذه هديّة فقط**) .

- لا تختلي أو يختلي الرّجل بإمرأةٍ لا تحلّ له ، ثم يقول : (**نيّتي سليمةٌ ، هذه زميلتي في العمل**) .

- لا يقيم الواحد ، بسبب موت قريبٍ ، الثّلاث أيامٍ ثمّ الأربعينيّة ، ويقول لك : (**نيّةٌ سليمةٌ**) .

- لا يصافح الرّجل المرأة ، ثمّ يقول : (**نيّةٌ سليمةٌ ما بالكم**).

لا بدّ من إخلاص النّيّة ، ولا بدّ من موافقة العمل لكتاب الله وسنّة نبيّه .

اللّهم أهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وقنا شرّ ما قضيت، اللّهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـنـــًا إلاّ قضيته، ولا مريضًا إلاّ شفيته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قضيتها لنا ويسّرتها لنا، يا أرحم الرّاحمين.

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وإذا أردت بقوم فتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين. اللّهم إنّا نسألك حبّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يقرّبنا إلى حبّك. اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك. اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة. اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا.

اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذل أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها. اللّهم انصر أهل سورية المظلومين ، اللّهم انصر أهل سورية المظلومين ، إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.